جامعة الملك فيصل
عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد

اسم المقرر
النظريات الاجتماعية

أستاذ المقرر:
د. فهد بن عبدالرحمن الخريّف

المحاضرة (٣)
التطور التاريخي
للنظريات الاجتماعية

عناصر المحاضرة

أولاً : جذور النظريات الاجتماعية منذ عصر التنوير الى العصر الحديث

١- الأساس النقدي ٢- الأساس الإيجابي ٣- ظهور الفيزياء الاجتماعية
٤- عوامل التغير الاجتماعي والثقافي

ثانياً: الصورة الأولى : تفسير الظواهر الاجتماعية بعوامل : (جغرافية ، وبيولوجية، ونفسية)

ثالثاً : الصورة الثانية : التحرر من مفهومات العلوم الطبيعية والبيولوجية، رد كل العلوم الاجتماعية الى علم الاجتماع أو الفيزياء الاجتماعية

رابعاً : الاتجاهات المعاصرة: ١- مرحلة الفلسفة الاجتماعية ٢- مرحلة النظريات الاجتماعية

خامساً : الصور الأساسية للنظريات العامة:

التطور التاريخي للنظريات الاجتماعية

يحوي التفكير الاجتماعي في الحضارات القديمة في الصين والهند واليونان والرومان بعض المشاهدات والتعميمات عن المجتمع الإنساني، وما يحوي هذا المجتمع من ظواهر اجتماعية كالحرب والسلام والجريمة والعقاب والعلاقات الاجتماعية والثورات والنظم الاجتماعية.

ولكن الآراء التي يحويها التفكير الاجتماعي القديم وإن تناولت الموضوعات نفسها التي تتناولها النظريات الاجتماعية، فإن منهجها في الوصول إلى أحكامها لم يكن يستند إلى الأساس المنهجي الذي تستند إليه النظريات الاجتماعية، وذلك لما يلي:

١. أن هذه الآراء لم تستند الى المشاهدة المنظمة، بل واستندت الى مشاهدات عارضة وأمثلة متفرقة، بحيث يمكن للمفكر القديم أن يذكر تلك المشاهدات.

٢. أن هذه الآراء اصطبغت بطابع تقويمي، يعكس وجهة نظر المفكر فيما ينبغي أن تكون عليه النظم الاجتماعية كالنظام الأسري والنظام السياسي والنظام الاقتصادي أكثر من استنادها الى الطابع التقريري الذي يقرر الحقيقة دون ربطها بأهداف أخلاقية.

* من هنا نستطيع القول أن علم الاجتماع لم يكتسب طابعا منظما قبل القرن (١٤م) حين نشر الفيلسوف العربي ابن خلدون مقدمته الشهيرة في عام ١٣٧٧م ، حيث ناقش لأول مرة في تاريخ الفكر الإنساني المشكلات الرئيسية التي يناقشها علم الاجتماع اليوم، وذلك في ضوء التفرقة التي وضعها هذا المفكر بين (مجتمع البداوة ومجتمع الحضر). لذا يجب أن يوضع ابن خلدون في مصاف الرواد في علم الاجتماع بجانب أفلاطون وأرسطو وفيكو وكونت.

- **جذور النظريات الاجتماعية منذ عصر التنوير حتى الأزمنة الحديثة.**

ظهر الاهتمام بالمشكلات التي تناولتها النظريات الاجتماعية منذ عصر النهضة، مما أدى الى تزايد عدد الدراسات التي تناولت هذه المشكلات في القرنين(١٦م) و (١٧م) ولقد ظهرت هذه المشكلات في آراء ميكافيلي، وفرنسيس بيكون، وتوماس مور، وهوبز ، ولوك وغيرهم.

ولقد استندت الدراسات التي تناولت الظواهر الاجتماعية في هذه الفترة الى أساسين:

أولاً: الأساس النقدي:

يتمثل في رفض التسليم بالأحكام التي تتناول ظواهر المجتمع استنادا الى المشاهدات العارضة أو الآراء الشائعة أو المقيدة بالأحكام التقويمية (الذاتية).

ثانياً: الأساس الإيجابي:

يتمثل في استناد الباحثين في دراستهم للظواهر الاجتماعية الى قدر من الموضوعية والبعد عن الأحكام التقويمية ودراسة هذه الظواهر كما هي كائنة بالفعل وليس كما ينبغي أن تكون، والاستناد كذلك الى المشاهدات والمقارنات للوصول الى وصف تعميمي، وتفسيرات عامة للظواهر الاجتماعية.

بيد أن هناك عاملين أساسيين طرءا على الفكر الإنساني لهما دلالتهما في الأصول الفكرية لعلم الاجتماع، وذلك خلال القرنين (١٧م) و (١٨م) وهما :

١.ظهور الفيزياء الاجتماعية

وهي حركة حاولت إقامة العلوم الاجتماعية على الأسس الميكانيكية والكمية نفسها التي تستند اليها ميكانيكا نيوتن. ذلك أنه قد ظهرت خلال هذين القرنين حركة فكرية تحاول وضع علم كمي له من الفروع ما يتناول الظواهر النفسية والأخلاقية والاجتماعية. وكان المبرر لهذه الحركة هو الاعتقاد بان القياس وحده هو الذي يكشف عن القضايا الصادقة. وقد ظهرت في اطار هذه الحركة الفكرية الملامح الأساسية للفيزياء الاجتماعية التي تضع تصميما لدراسة الظواهر الاجتماعية على هدى من منطق ومنهج الميكانيكا الفيزيائية والهندسية، والتي تستخدم في وصفها وتفسيرها لهذه الظواهر المفهومات والنظريات نفسها المستخدمة في هذين العِلمَين.

٢. عوامل التغير الاجتماعي والثقافي:

تعتبر دراسة الباحث الإيطالي فيكو(١٦٦٨-١٧٤٤م) بعنوان « العلم الجديد» من أهم الدراسات تأثيرا في تاريخ علم الاجتماع. ذلك أنها أول بحث منظم يتناول عوامل التغير الاجتماعي والثقافي.

ولقد تتابعت الدراسات خلال القرن(١٨م) وأول القرن(١٩م) مستندة الى الدراسات الإحصائية الرياضية للسكان، تلك الظاهرة التي وصلت دراستها الى مستوى دقيق على يد مالتوس.

هذا الوقت نفسه الذي تابع فيه رجال الاقتصاد والسياسة دراساتهم لتشمل المشكلات الرئيسية للمجتمع ولثقافته، ولتحدد القوانين التي تخضع لها ظواهر المجتمع، ولتناقش مشكلات المجتمعين الريفي والحضري.

ولقد تحققت خلال هذه الفترة دراسات لها أهميتها في تاريخ علم الاجتماع منها:

١.دراسة مونتسكيو « روح القوانين » التي تعد أول دراسة منظمة في سوسيولوجية القانون.

٢.دراسة آدم فرجسون التي وضع فيها كثيرا من مبادئ علم الاجتماع العام.

٣.دراسة دي ميستر في سوسيولوجية الثورات.

٤.دراسة آدم سميث في الجوانب الاجتماعية لثورة الأمم التي أسهمت في إيضاح وجهة نظر علم الاجتماع في دراسة الظواهر الاقتصادية.

٥.دراسات كل من « ترجو، وكوندرسيه، وسان سيمون، وهيجل » التي وضعت أساس نظريات التطور الاجتماعي والثقافي، وغير ذلك من الدراسات التي قام بها هربرت سبنسر وسمنر وغيرهما، ولقد ظهرت في هذه الفترة المجلدات الستة التي كتبها أوجست كونت (١٧٩٨-١٨٥٨م) عن الفلسفة الوضعية، حيث اكتسب علم الاجتماع اسمه كعلم متصل ومحدد. ولقد عرّف « كونت » هذا العلم بانه علم تعميمي يتناول البناء .

البناء الاجتماعي والتطور الاجتماعي، مُقسِّماً هذا العلم الى قسمين:

١- الاستاتيكا الاجتماعية : التي تتناول المجتمع في حالة استقراره.

٢- الديناميكا الاجتماعية: التي تتناول المجتمع في حالة تغير وتطوره.

ولقد حدث في الثلث الثاني من القرن(١٩م) تقدم ملحوظ في علم الاجتماع بفضل التحديات التي واجهت الآراء السائدة في الفكر الاجتماعي. وقد ظهر في هذه الفترة اتجاهان أساسيان في علم الاجتماع، يشكل كل منهما صورة للتغير الاجتماعي.

أولاً: الصورة الأولى: تحاول تفسير الظواهر الاجتماعية تفسيرا يردها الى عوامل البيئة الجغرافية والمناخية، والعوامل البيولوجية، والعوامل النفسية ولقد ظهرت في إطار هذا الاتجاه المدارس الاجتماعية التالية:

- **المدرسة الجغرافية:** التي تفسر الظواهر الاجتماعية في ضوء العوامل الجغرافية كالمناخ والموقع والتضاريس. وقد ظهرت في إطارها محاولات لربط العوامل

الجغرافية بالظواهر الاجتماعية المختلفة: كتوزيع السكان وخواصهم وكثافتهم وحجمهم، بالظواهر الاقتصادية، كالظواهر الدينية والتنظيمات السياسية والعسكرية والجريمة.

- **المدرسة البيولوجية:** التي تربط بين الظواهر الاجتماعية وبين الظواهر البيولوجية. وتقيم دراستها للمجتمع على أساس المماثلة بينه وبين الكائن الحي من حيث البناء والعمليات وفي إطار هذه المحاولات تم الربط بين العوامل البيولوجية المختلفة كالتكوين البيولوجي والسلالة والوراثة، وبين الظواهر الاجتماعية في مختلف مساراتها سواء كانت السلوك الاجتماعي للفرد، أو سلوك الجماعات الصغيرة، أو سلوك المجتمعات، أو سلوك المجتمع الإنساني ككل.

- **المدرسة النفسية:** وهي مدرسة ترد الظواهر الاجتماعية إلى العوامل النفسية كالغرائز والرغبات والانفعالات والدوافع والاتجاهات، وتربط بين تلك العوامل وما يحدث في الواقع الاجتماعي من ظواهر وعمليات.

ولقد حقق هذا الاتجاه النفسي بعض الأهداف التي يتطلبها استخدام المنهج العلمي في دراسة الواقع الاجتماعي، ولكن الأدوات التصورية والمفهومات والمصطلحات التي استخدِمت لم تكن قادرة على أن تصل إلى تعميمات شاملة تفسر الظواهر الاجتماعية.

ثانياً: الصورة الثانية : ظهرت في منتصف القرن(١٩م) بظهور أوجست كونت، ومن الممكن أن نلمح في هذا الاتجاه صفتين واضحتين:

١. التحرر من مفهومات العلوم الطبيعية والبيولوجية: عند دراسة الظواهر الاجتماعية، ووصف هذه الظواهر في إطار المجتمع والثقافة والجماعة والقيم الاجتماعية، دون ردها إلى عوامل جغرافية أو بيولوجية أو نفسية كما في الاتجاه الأول.

٢. رد كل العلوم الاجتماعية إلى علم اجتماعي واسع الهدف: حيث تبع هذا التحرر من محاولات كل العلوم الاجتماعية إلى علم اجتماعي واسع الهدف يتمثل في

علم الاجتماع أو الفيزياء الاجتماعية Physical Sociology . ولقد ظهر ذلك عند الرواد من أصحاب النظريات الاجتماعية مثل : أوجست كونت، وهربرت سبنسر، وماركس،..الخ.

ولقد نظر هؤلاء إلى علم الاجتماع على أنه محاولة فكرية تؤلف بين الحقائق والتعميمات التي تقدمها العلوم الاجتماعية المتخصصة، ومن هنا أصبحت اهتمامات الباحثين اهتمامات موسوعية، وفي هذا إغفال للموضوع المميز الذي ينبغي لعلم الاجتماع ان يجده لنفسه متخذاً إيّاه مجالا للدراسة.

الواقع أن الصورة الأولى تمثل اتجاها ردِّيّا ، لأنها ترد الظاهرة الاجتماعية الى عوامل غير اجتماعية مغفلة طبيعتها الاجتماعية المميزة لها، وهي تكشف عن تعدد التفسيرات وتناقضها مما يظهر علم الاجتماع في صورة العلم القاصر غير المكتمل. كما أن الصورة الثانية تمثل اتجاها موسوعيا يتعذر في ضوئه تحديد مجال أصيل تدور حوله دراسات علم الاجتماع.

ولهذا سعت الاتجاهات المعاصرة في علم الاجتماع الى مواجهة هذه الجوانب القاصرة بما يلي:-

١. القيام بوضع التفسيرات للظواهر الاجتماعية التي تتناسب مع طابعها الاجتماعي ولا تردها الى العوامل غير الاجتماعية، ومن أبرز هذه المحاولات ما قام به إميل دوركايم.

٢. القيام بمحاولات لاستكمال التفسيرات المتعددة للظواهر الاجتماعية، ومحاولة إيجاد التكامل النظري في علم الاجتماع، ومن أبرز هذه المحاولات محاولة سوروكين وباسونز وغيرهما.

٣. تحديد علم الاجتماع في ضوء وجهة نظر يأخذ بها العلم تستند الى الرؤية الكلية للمجتمع، وما يترتب على ذلك من تساند ظواهره كما تستند الى الكشف عن الخواص المشتركة بين الظواهر الاجتماعية وبين فئة خاصة منها.

ولقد وضعت منذ عام ١٩٢٠م تفرقة بين كل ما هو اجتماعي يتناول ظواهر الواقع الاجتماعي، كالظواهر الأسرية والاقتصادية والسياسية والقانونية... الخ. وما هو سوسيولوجي ينتسب الى علم الاجتماع، ويتحدد بمقياس الرؤية الخاصة لعلم الاجتماع التي تكشف عن كلية المجتمع، وكيفية أدائها لوظائفه، وتحدد وحداته الأساسية، وتظهر الكيفية التي تترابط بمقتضاها هذه الوحدات وتتساند لتقابل الحاجات الاجتماعية المتعددة، وتكشف عن العمليات المعززة للاستقرار الاجتماعي أو المهددة لهذا الاستقرار، وتشير الى انطواء الأفراد في إطار البناءات الاجتماعية.

ومن هنا ظهرت مفهومات علم الاجتماع : كالمجتمع والجماعة والنظم والعمليات والوظائف والبناء الاجتماعي والتفاعل وتقسيم العمل والتدرج والضبط والتغير ، وبحث الظواهر الاجتماعية المختلفة في ضوء هذه المفهومات الأساسية.

الاتجاهات المعاصرة

اتخذ علم الاجتماع وضعاً أكاديميا مستقرا، حيث أنشئت أقسام لدراسة هذا العلم في أغلب الجامعات الكبرى في العالم، وظهرت الكتب والدوريات المتخصصة وأسهم الباحثون في علم الاجتماع بخبرتهم في مجالات تطبيقية متعددة كمجالات التخطيط والتنمية والخدمة الاجتماعية، وقاموا ببحوث واقعية لدراسة مشكلات مجتمعهم.

ولقد برزت وجهة نظر علم الاجتماع التي تدعو الى الرؤية الكلية للمجتمع، والى ربط الظواهر الاجتماعية ببعضها، والى الكشف عن الخصائص العامة المشتركة بين كل فئات هذه الظواهر، أو الخصائص المشتركة بين فئة منها، وقد أثّرت هذه الوجهة من النشاط في كثير من العلوم. فظهرت دراسات تتناول الظواهر التاريخية والاقتصادية والدينية والفنية والإدارية والأخلاقية واللغوية بوجهة نظر علم الاجتماع.

ولقد أسهم الباحثون في هذا العلم في تقدم عناصر البناء المنهجي للبحث الاجتماعي، فاتجهت الطرق العامة للبحث الاجتماعي وأدواته وأساليبه، لتحقق الدقة والموضوعية في

مراحل التصور الاجتماعي للظاهرة الاجتماعية

مشاهدة الظواهر الاجتماعية، وفي التعبير عن نتائج هذه المشاهدة. واتجهت الدراسات الى البحوث الاجتماعية الميدانية دون أن تقتصر على التأملات النظرية.

ولقد سعى الباحثون في هذا العلم الى إيجاد التكامل النظري في علمهم وإزالة التفسيرات المتناقضة للظواهر الاجتماعية، واستكمال صورة التفسير ليبدو شاملا لتلك الظواهر، أو لفئة منها. وهنا ظهرت النظريات المتكاملة عند سوروكين وبارسونز وغيرهما.

•مراحل التصور الاجتماعي للظاهرة الاجتماعية

١.مرحلة الفلسفة الاجتماعية:

وتضم هذه المرحلة النظريات التقويمية (الذاتية) التي تحدد وجهة نظر الفيلسوف الاجتماعي في أصلح أشكال المجتمعات أو النظم الاجتماعية والسياسية والقانونية والاقتصادية وأنسب صور العلاقات والتفاعلات الاجتماعية.

ومن أمثلتها النظريات الاجتماعية لكل من أفلاطون وروسو وهيجل وسبنسر وسان سيمون. وقد سادت الفلسفة الاجتماعية في الفكر الأوربي من القرن(١٧م) حتى منتصف القرن(١٩م).

٢.مرحلة النظريات الاجتماعية:

سعت هذه المرحلة الى تحقيق الموضوعية والطابع العلمي (الوضعي) في تفسير الظواهر الاجتماعية. ولقد تشكلت النظريات في هذه المرحلة في صورة أساسية:

أ- **النظريات الرديّة:** التي تفسر الظواهر الاجتماعية بردها الى عوامل وظروف غير اجتماعية كالعوامل الجغرافية أو البيولوجية ... الخ.

ب- **النظريات الأحادية:** والتي استندت الى الأهداف العلمية نفسها ولكنها أقامت التفسير للظواهر الاجتماعية على أنها نتاج لمتغيرات وعمليات اجتماعية. وقد رأى أنصار الأحادية أن نمطا واحدا من العمليات والصور الاجتماعية يمكن أن يستند إليها .

الصور الأساسية للنظريات العامة

تفسير نطاق واسع من الظواهر الاجتماعية، ومن أمثلة ذلك:

- تارد في نظريته عن « المحاكاة ».
- سبنسر في نظريته عن « التباين».
- ماركس في نظريته عن « نمط الإنتاج والاقتصاد ».

الصور الأساسية للنظريات العامة

يمكن تحديد الصور الأساسية التالية للنظريات الاجتماعية:

١.نظريات اختزالية تحدد الاتجاه الذي سارت عليه الظواهر الاجتماعية في نشأتها ونموها وتغيرها. ومن أمثلة هذه النظريات نظرية هربرت سبنسر في حركة التطور الاجتماعي من مرحلة المجتمعات المتجانسة الى مرحلة المجتمعات غير المتجانسة. ونظرية العالِم الألماني تونيز في حركة التغير في العلاقات الاجتماعية من طابع المجتمع المحلي

الى طابع المجتمع العام. ونظرية تطور المجتمعات لدى دوركايم من مرحلة يسودها التضامن الآلي في المجتمع الى مرحلة يسودها التضامن العضوي.

بالإضافة الى نظريات زيميل وسوروكين ورودفيلد ..، وغيرهم في التطور الاجتماعي.

٢.نظريات أحادية تستند في تفسيرها لنشأة الظواهر الاجتماعية الى سبب واحد أساسي يصور حالة اجتماعية شاملة يُرجع إليها هذه الظواهر ومن أمثلتها:

نظرية ماركس في نمط الإنتاج الاقتصادي والوضع الطبقي. ونظرية دوركايم في العقل الجمعي ونظرية جمبلوفتش في الصراع. ولقد وجد هؤلاء وغيرهم التفسير الشامل لنشأة الظواهر الاجتماعية في تلك الظروف الاجتماعية.

٣.نظريات تعكس تسلسل العمليات الاجتماعية في المجتمع ويهدف هذا النوع من النظريات الى تنظيم الظواهر الاجتماعية استنادا الى تركيز الاهتمام في عدد محدود من العمليات الاجتماعية التي تفسر وفق إطار محدد ومتكرر من التتابع الزمني. ومن

أمثلتها نظرية تادنر التي تحدد المسار الزمني المتتابع للظاهرة الاجتماعية في ضوء العمليات التالية: (الاختراع – المعارضة – المحاكاة – التلاؤم) ومن أمثلتها رأي بارسونز في تتابع تلك العمليات بمقتضى (الاتصال، والصراع، والتلاؤم والتمثيل).

تمت بحمد الله